(الكسب الحلال)

الحمد لله رب العالمين، نحمده سبحانه حمداً يليق بجلاله، ونثني عليه ثناء يليق بكماله، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن ديننا الحنيف ينظر إلى العمل نظرة إكبار وتوقير، باعتباره سبيلاً للرقي والتقدم ، والمتأمل في القرآن الكريم يجد الدعوة إلى السعي والجد والاجتهاد في طلب الرزق بينة واضحة ، يقول الله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)، وقال سبحانه : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، و كان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مالكٍ (رضي الله عنه) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ، فَوَقَفَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَال: اللَّهُمّ إِنّي أجبتُ دعوتَك، وَصَليتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ، وَأَنتَ خَيْرُ الرّازِقِينَ.

على أن طلب الرزق في الإسلام قائم على أساس الكسب الحلال في إطار من الصدق، والإيجاب والقبول، والتراضي، وعدم الغرر، واستغلال حاجات الناس، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ مالُهُ وعِرْضُهُ ودَمُهُ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لأَلقينَّ اللهَ عزَّ وجلَّ من قبلِ أن أُعطَى من مالِ أحدٍ شيئًا بغيرِ طِيبِ نفسِه إنما البيعُ عن تراضٍ).

والكسب الحلال سبب لحلول البركة والخير والنماء ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ، بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (أفضَلُ الكَسبِ عَملُ الرَّجُلِ بيَدِه، وكلُّ بَيعٍ مَبرورٍ) ؛ ومن عرف بركة الكسب الحلال لم تمتد عينه إلى الحرام

أبداً مهما كان كثيراً ؛ لأن الحلال فيه بركة في النفس والمال والولد ، وراحة الضمير ، وهدوء للبال وباعث على السكينة والطمأنينة .

ولشرف الكسب الحلال يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِين مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ)،وقد بلغ التاجر الصدوق تلك الدرجة لأن النفوس جبلت على حب المال وهو من زينة الحياة الدنيا ، كما قال الله تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، فمن يقاوم حب المال ويتغلب على نفسه وشهوته وزينة الحياة الدنيا ، ويؤثر الكسب الحلال على الحرام، والباقية على الفانية ، والآخرة على الدنيا استحق أن يكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ؛ فهو أوثق فيما عند الله على ما هو في يده ، يقول الله تعالى : (وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا) .

كما أن الكسب الحلال سبب لقبول الدعاء، حيث قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا سعد بن أبي وقاص: " يا سعدُ، أطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُستَجابَ الدَّعوةِ، والذي نَفْسُ محمدٍ بيدهِ، إنَّ العبدَ لَيقذِفُ اللَّقمةَ الحرامَ في جوفِهِ ما يُتقبَّلُ منه عملٌ أربعينَ يوماً، وأيُّما عبدٍ نبَتَ لحمُهُ مِنْ سحتٍ فَالنَّارُ أَوْلى به".

كما لا شك أن الكسب الحرام عواقبه وخيمة، وآثاره خطيرة ، فهو يبدد الطاقات ، ويهدر الكفاءات ، ويعطل مصالح البلاد والعباد ، يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " إِنَّهُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبتَ مِنْ سُحْتٍ إِلاَّ كَانتِ النَّارُ أَوْلى بِهِ ".

فما أحوجنا جميعاً إلى طلب الكسب الحلال طاعة لرب العالمين، وصيانة للعرض والدين، والفوز والسعادة في الدارين في الدنيا والآخرة.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الحلال وأن يبارك لنا فيه، وأن يباعد بيننا وبين الحرام كما باعد بين المشرق والمغرب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه: مكاوي حسين محمد ــ مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.